الجمـهـورية الجـزائـرية الديمـوقراطـية الشـعبـية

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج

– البويرة –

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

Ministére de l'enseignement superieur et de la recherche scientifique

UnivérsitéAkli Mohand Oulhadj – Bouira –

TasdawitAkliMohandUlhadj –Tubirett –

Faculté des sciences humaines et sociales

قسم: التـــــــاريخ

الموضوع :

الوباء بالغرب الإسلامي من خلال كتاب مقنعة السائل عن المرض الهائل للسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ/ 1374 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة المـــاستر في تخصص:

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

اعداد الطالبتين:

- قهواجي عبـــير
- باكلي إيمان

إشراف الدكتور :

رافع رضـا

الموسم الجامعي:2021/2020

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم

الشكر الأول لله خالق الخلق من العدم، شكر وحمدا يترجمه مداد والقلم أما الشكر الثاني فأوزعه على كل من منحوني بصيص أمل فأبصر بفضلهم بحثي

أخص الذكر الأستاذ المشرف الدكتور " رافع رضا " الذي أتقدم له بخالص الشكر والتقدير وكل الاحترام لقبوله الإشراف على هذه الرسالة والذي كان فضله وحسن توجيهاته تصوبنا نحو الهدف الأساسي للمذكرة فجزاه الله عني خير الجزاء .

أخير خالص شكري وتقديري لكل أستاذ (ة) كان له (ة) الفضل في تكويني خلال مراحل دراستي، الليسانس، الماستر بجامعة آكلي محند أولحاج بالبويرة

الإهداء (1)

كل فجر لا بد آت، والليل راحل، وفجرنا هاهنا والحلم ماثل طالب علم أنا في هذا العالم أقاتل :

أهدي هذا العمل المتواضع إلي ...

إلى ذلك الصرح العظيم، المنتصب شموخا بين عذابات الحياة، إلى ذلك الذي أفنى حياته من أجل أن نحيا أبنائه حياة النبل والكرم إلى والدي الغالي

إلى أعلى جوهرة أمتلكها في دنياي من أحتاج إلى لمسة يدها ونظرة عيونها، وحنان صدرها، وعواطف قلبها إلى ما أحنى ما أملك : أمي، ثم أمي، ثم أمي

إلى روح " جدي العزيز " رحمه الله

إلى الذي عشت معهم هذا الجانب المضيئ من حياتي أخواتي وأخي وليد، مايسة، أماني .

دون أن انسى ذكر "جدي" أطال الله في عمره و ادامه تاج فوق رؤوسنا

إلى الذي غمرني بالحب والوفاء وقاسمني فرحي وحزني إلى خطيبي فتحي

وأهدي هذا العمل المتواضع وثمرة جهدي أيضا إلى عائلتي :قهواجي, دراجي

و اخص الشكر الى صديقتي و زميلتي باكلي ايمان التي شاركتني في هذا البحث

إلى من تقاسمت معهم حلو ومر الحياة : رندة، هاجر،بشرى، وإلى زملاء آخرين تحتفظ بهم ذاكرتي إن لم تسعهم مذكرتي

عبـــــير

الإهـداء (2)

إلى أحلى هدية في الحياة إلى معنى الحب والحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود وأنقى إنسان على وجه الأرض، إلى من كان دعائها سر نجاحي ... أمي .

إلى ملاكي في الحياة من جرع الكأس الفارغ ليسقني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى الذي حصد الأشواك عن درجي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير ... أبي

كلمتان ما أنقاهما حفظهما الله وجعل لي في كل يوم تقواهما أينما كنت في مقامي أبقى رضاهما

دون أن أنسى ذكر "جدي" حبيبي أطال الله في عمره و حفظه تاجا فوق رؤوسنا

إلى كل من ساند ظهري وقت الحاجة ودعموا إيماني وقت الضياع إخوتي"وليد ،أيمن،يوسف،عبد السلام،عبد الباسط،إسمهان،أمال"و إلى أول فرحة في البيت المتكوت "عبد الصمد"و إلى كل من عائلة "باكلي" و "بوسبحة"

وأقدم شكري الى صديقاتي "خولة،سمية ،سهيلة،حبيبة"

إلى كل زميلاتي وزملائي في مشواري الدراسي وأخص الشكر إلى صديقتي وزميلتي قهواجي عبير التي شاركتني في هذا البحث

إيمـــان

قائمة المختصرات :

العبارة	اختصارها
كتاب مقنعة السائل عن المرض الهائل	المقنعة
الطبعة	ط
الصفحة	ص
الجزء	ج
توفي	ت

مقدمة

مقدمة :

تزخر مكتبة الغرب الإسلامي برصيد معرفي هائل في كل التخصصات والعلوم، ولعل كتب الطب والأغذية قد شغلت حيزا لا بأس به في هذا التراث، وللأسف الشديد فإن هناك كثيرا من المصادر لم تتحقق إلى يومنا هذا، ولا زالت عرضة للإندثار والزوال، ومنها ما حقق ولكن لم تطله أيدي الباحثين بالدراسة والتحليل. وضمن هذا الاطار يندرج مصدر أصيل ما زال حسب علمنا قليل شهرة، ولا يعكس محتواه شهرته إلا وهو الكتاب الموسوم بـ : مقنعة السائل عن المرض الهائل لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب "ابي عبد الله محمد إبن عبد الله بن الخطيب السليماني الفرناطي" . المتوفى سنة 766 هـ / 1374 م .

ولعل ما يزيد في أهمية هذا الكتاب أننا نعيش في زمن سادت فيه الأوبئة والأمراض، وهو ما يزيد في فضولنا ورغبتنا في الكشف عن المزيد، مما يحمله هذا المصدر النفيس.

الإشكالية :

والإشكالية التي تطرح نفسها في هذا الموضوع هي :

- **ما واقع الوباء من خلال رسالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لإبن الخطيب ؟ أو بالأحرى هل يمكن إعتبارها نموذجا لدراسة الوباء بالغرب الإسلامي ؟**

وتندرج ضمن هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية لعل أهمها :

_ من هو مؤلف مقنعة السائل وما موقع رسالته ضمن تأليف الوباء في الغرب الإسلامي ؟

_ ما مضمون رسالة مقنعة السائل؟ وما يستفاد منها في مجال الأمراض والأوبئة ؟

المنهج المتبع:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي المناسب لطبيعة الموضوع وحيثياته، حيث أخذنا المقالة من الجانب الوصفي التحليلي، ولأن المنهج الوصفي يتناول ظاهرة معينة مربوطة بزمان ومكان، فقد عالجنا ظاهرة الوباء بالأندلس (المرية) خلال القرن الثامن هجري وهو المنهج المناسب للدراسة .

مصادر البحث:

اعتمدنا في بحثنا بشكل كبير ورئيسي على موضوع الدراسة وهو:

_ **مقنعة السائل عن المرض الهائل:** وهو لب الموضوع حيث قمنا أولا بقراءة للكتاب ثم قسمنا محتواه حسب خطة الموضوع وتدريجنا في العناوين حسب الأهمية والمحتوى .

اضافة الى هذا المصدر طعمنا دراستنا بمصادر اخرى مهمة لعل أهمها:

. ابن الزهر، **كتاب الأغذية،** هذا الكتاب لابن الزهر محقق اعتمدنا في هذا الكتاب في موضوع أسباب الوباء .

الإحاطة في اختيار غرناطة للمؤلف ابن الخطيب الذي توفي 776 هـ / 1374 م حيث أخذنا منه تعريف ابن الخطيب وأيضا أهم شيوخه ومؤلفاته الذي ألفها أيضا أخذنا منه علماء الأندلسيون الذي اقبر وموتا في الطاعون 743 هـ /1348 م .

اضافة الى مصادر أخرى لا مجال لذكرها .

تقسيمات الموضوع:

ولمعالجة الموضوع معالجة علمية قسمنا بحثنا على النحو التالي :

الفصل الأول والموسوم ب: **ابن الخطيب مؤرخا** ويتضمن في المبحث الاول التعريف بشخصية المؤلف ثم انتقلنا في المبحث الثاني الى أهم شيوخه ونختتم بالمبحث الثالث بمؤلفاته ثم وفاته .

الفصل الثاني الموسوم بـ : **الوباء بالغرب الإسلامي** يتضمن التأليف عن الوباء ،حيث قسمناه الى اربعة مباحث خصصنا الاول منه للتفصيل في التأليف عن الوباء ثم انتقلنا في المبحث الثاني الى الوباء ضمن مؤلف مقنعة السائل عن المرض الهائل وفي المبحث الثالث المؤلفات في الاوبئة و الجوائح (300هـ _1300هـ)وختمنا في المبحث الرابع بمؤلفات مجهولة المؤلف و زمن التأليف .

الفصل الثالث والأخير والموسوم بـ : **الوباء في الغرب الاسلامي من خلال المقنعة** ، حيث قسمناه الى خمسة مباحث، في المبحث الأول تطرقنا الى التعريف بالوباء لغة واصطلاحا، وفي المبحث الثاني الى أصل الوباء ثم انتقلنا في المبحث الثالث الى مدافعة الجسم للمرض و في المبحث الرابع انتقال المرض و أعراضه و أسبابه ، وختمنا في المبحث الخامس بأشهر من اصيب بالوباء في الغرب الاسلامي .

إعتمدنا في هذا الفصل على رسالة مقنعة السائل كمصدر أول لأنه دراسة للرسالة .

صعوبات البحث:

ولأن أي بحث آكاديمي بالضرورة لابد له من عدة صعوبات وعوائق، منها الذاتي ومنها الموضوعي، فالموضوعي يكمن في صعوبة لغة المصدر لأن المؤلف يعتمد على المصطلحات الطبية، والتي تحتاج غالبا شروحا لفهمها، إضافة إلى أن المؤلف لم يقسم كتابه من حيث المضمون فنجد مثلا يفصل في موضوع ما ليعود إليه بعد الحديث عن موضوع آخر.

كم أننا لم نعثر على أي دراسات سابقة حول الموضوع أو الكتاب لتفيدنا في هذا الكتاب، أما الذاتي فهي صعوبة العمل في ظل الظروف التي نعيشها في وقتنا الحالي وهو الوباء الذي أعاقنا إلى حد كبير .

وفي الاخير الشكر موصول لكل من ساهم في هذا العمل .

الفصل الأول :

ابن الخطيب مؤرخا

الفصل الأول:

ابن الخطيب مؤرخا :

- **المبحث الأول: التعريف بالمؤلف ابن الخطيب**
- **المبحث الثاني: الشيوخ الذين درسوا ابن الخطيب**
- **المبحث الثالث: مؤلفاته و وفاته**

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف ابن الخطيب.

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني[1]و السلماني نسبة إلى سلمان وهو حي بن مراد من عربي اليمن القحطاني[2]،ولد في بلدةلوشة الواقعة على نهر النيل في الخامس والعشرين من شهر رجب سنه 713 هـ - 1313 م يكنّى أبا عبد الله ويلقب بلسان الدين واشتهر بلسان الدين بن الخطيب. ولد في أسرة اشتهرت بالعلم تنسب إلى سلمان وهو حي بن مراد من عرب اليمن القحطانية الذين دخلوا الأندلس عقب الفتح واستقروا في قرطبة، ثمطليطلة، ثم لوشة فغرناطة[3]. وكانت هذه الأسرة تعرف من قبل بني وزير وكانوا من ذوي النباهة مالا وعلما. ثم أطلق عليها (بن الخطيب) نسبة إلى سعيد الخطيب جدّه الأعلى الذي كان قاضيا بلوشة، وخطيبا بمسجدها الجامع. وكان يلقي دروسه ومواعظه تحت ظلال ببرج يجاور أملاك أسرته ومن ثم فقد غلب عليه اسم الخطيب الذي أورثه لبنيه فعرفوا ببني الخطيب[4].

وكان لمحمد من محيطه المنزلي والاجتماعي وما عرفناه من انصراف أبائه للعلم وعناية أهل زمانه به إلى كثره العلماء حوله وسهولة التحصيل أكبر عون على بلوغه تلك المنزلة السامية التي نالها[5].

وكان أول من قرأ عليه القرآن أبو عبد الله بن عبد المولى العوّاد فأتقنه كتابة وحفظا وتجويدا. وأخذ العربية من ابن الحسن القيطاجي وهو أوّل من انتفع به، ولازم الإمام أبي عبد

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد 4 ،الشركة للطباعة و النشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977 م ص439.

2 لسان الدين بن خطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، 1347، ص2.[2]

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المجلد 2، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، الجزائر، ص92.

[4] ابن الخطيب، **روضة التعريف**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي للنشر و التوزيع، ص15

[5] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، ص3

الله الفخار الألبيري ،وتعلم منه الفقه والتفسير واخذ الطّب وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن يحيى بن هديل ولازمه وألفّ فيه في هذين العلمين[1].

وكذلك قد نشا ابن الخطيب في بيت عربي عريق في العلم والأدب والخطابة والرئاسة وقيادة الجند وكان أبوه من أكابر العلماء. يفخر بذلكوقد استشهد عبد الله مع ولده الأكبر في موقعة طريق (741هـ - 1340م) التي هزمت فيها الجيوش المسلمين أمام النصارى[2]، وفجع ابن الخطيب بأبيه وأخيه وهو من الثامن والعشرين من عمره ورثى ابن الخطيب أباه وأخاه رثاء حارا في بعض قصائده.

المبحث الثاني: الشيوخ الذين درسوا ابن الخطيب.

كان لسان الدين الخطيب قد درس وتلقى علومه على يد شيوخ و علماء غرناطة وشيوخ عصره، وقد تحدد تعلمه في جوانب عديدة مبرز في الطب وجرع في الأدب و تولع بالشعر والنثر، وألف في موضوعات مختلفة فأحسن التأليف ، ومن هؤلاء الشيوخ الذي تتلمذ على يدهم فقد ذكرهم ابن الخطيب و ترجم لهم كتبه مثل "الإحاطة" ، "الكتيبة الكامنة" ومنهم:

1 ـ أبو عبد الله بن عبد المونى العواد، قرأ عليه القرآن[3]

2 ـ أبو الحسن الفيجاطي، قرأ عليه القرآن و العربية

3 ـ أبو القاسم بن جزي ت (758 هـ) قرأ عليه العربية و الفقه و التفسير

4 ـ أبو الحسن علي بن الجباب (749 هـ) تأدب عليه و وصفه بالرئيس صاحب العلم الأعلى.

5 ـ أبو البركان بن الحاج ، (768 هـ) قال عنه شيخا القاضي الشهير.

[1] بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، مرجع سابق، ص3.
[2] بن الخطيب، مرجع سابق، ص3.
[3] بن الخطيب ،**الإحاطة**، ج4، ص 457 ــ 459 .

6 ـ قاضي الجماعة ابو عبد الله بن بكر

7 ـ أبو عمرو بن الأستاذ ابن جعفر بن المزيير

8 ـ أبو العباس بن يربوع السبتي، المحدث

9 ـ أبو القاسم بن سلمون

10 ـ أبو بكر بن شيرين ، القاضي المحدث الأديب

11 ـ ابن الفخارالبيري، لازمه في العربية و الفقه و التفسر .

المبحث الثالث: مؤلفاته ووفاته

لقد خلق لنا لسان الدين الخطيب مؤلفات جمة و آثار قيمة في التاريخ والأدب وعلوم الشرع و الطب وهذا مايزيد عن سبعين كتابا في جميع العلوم المذكورة ، وقد ضاع معضمها يوم ضاع هو، فقد أحرقت في الساحة التي أحرق فيه هو، ومن أهمها:

1 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة[1].

2 ـ الإشارة إلى أدب الوزارة [2]

3 ـ إعلام الإعلام فمن يويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام[3]

4 ـ أوصاف الناس في التواريخ و الصلاة.

[1]نشره الأستاذ محمد الدين الخطيب بالقاهرة عام 1347 و طبع في بيروت عام 1978

[2] حققه الدكتور محمد كما شبانة، وجمعه ز نشر بالرباط 1970 /.

[3]حقق القسم الخاص بالمغرب الدكتورأحمد العيادي و حمد ابراهيم الكتاني، ونشر بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، طبع في الدار البيضاء عام 1962 م و نشر القسم الثاني الأندلس ليفي بروفنسال بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية بالرباط عام 1943، كما نشر في بيروت، دار الكشوف، عام 1956.

5 ـ جيش الترشيح.

6 ـ الحلل الموشية في ذكر أخبار الأندلسية .

7 ـ خطرة الطبيقو رحلة الشتاء و الصيف.

8 ـ رسالة الطاعون.

9 ـ رفع الحلل و نظم الدول .

10 ـ روضة التعريف بالحب الشريف.

11 ـ ريحانة الكتاب و (عدة رسائل "مجلدات")

12ـ السحر و الشعر، (مختارات شعرية)

13 ـ الصيب و الجهام و الماضي و الكهام (ديوان الشعر)

14 ـ الكتيبة الكامنة فيما لقيناه بالاندلس من شعراء المئة الثامنة.

15 ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان (مجموع رسائل)

16 ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية

17 ـ مثلى الطريقة في دم الوثيقة.

18 ـ شاهدات لسان الدين في الخطيب في بلاد المغرب و الأندلس (مجموعة رسائل)[1]

19 ـ معيار الإختيار في ذكر المعاهد و الديار.[2]

20 ـ مقاصد السياسة.

[1] حققه الكتور أحمد مختارالعياديو طبع في الإسكندرية عام 1958 م، طبعة أخرى سنة 1983 م.
[2] نشر المستشرق سموتةا القسم الأول منه بعنوان مملكة غرناطة و ترجم إلى الإسبانية.

21 ـ نقاضة الميراب في علالة الإغتراب.

22 ـ مقنعة السائل عن المرض الهائل : هذا الكتاب من كتب الطب للسان الدين ابن الخطيب الغرناطي (776 هـ ـ 1324 م) و قد خصه صاحبه للحديث عن وباء 749 هـ الذي اكتسح العالم ككل .

فعرف هذا المرض القاتل لهو الوباء وذكر أسباب حدوثه وأثبت وجود العدوى علميا وأثارها على المريض وأعاب على العائليين بعدم وجودها، وقد ترجمم للألمانية في مجلة أكاديمية كرسالة في العلوم البلغارية عام 1863 م وأعيد تحقيقه من طرف حياة قارة وهذه الرسالة هي موضوع بحثنا هذا الذي يقوم علر دراسته هذا الكتاب.[1]

23 ـ الإماطة عن وجه الإحاطة فيما أمكن في تاريخ غرناطة.

24 ـ طرفة العصر في دولة بني نصر.

25 ـ التاج المحلي في مساجلة القيدح المعلى.

26 ـ الإكليل الزاهر فيها فضل عند نظم (التاج) من الجواهر.

27 ـ الصيب و الجهام.

28 ـ التبر في غرض السلطاتيات.

29 . عائد الصلة.

30 ـ النفاية بعد الكفاية.

31 ـ المختصر في الطري الفقهية

[1] حققه محمد كمال شبانة، طبع مع كتاب الإشارة إلى أداب الوزارة لابن الخطيب بالرباط سنة 1980 م.

32 ـ اليوسقي.[1]

33 ـ المسائل الطبية.

34 ـ مفاضلة مالقة وسلا.[2]

مقتله:

حينما أدخل للسجن بقي بضعة أيام فطرق عليه باب السجن بعض القتلة فخنقوه، وكان ذلك سنة 176 هـ وبعد ذلك أخرج من السجن ودفن، إلا أن بعض أعدائه أخرجوه من قبره وأحرقوا جسده ثم أعيد إلى حفرته.

وقد ذكر بعضهم أنه نظم قصيدة قبل مصرعه حينما توقع مصيره وعرف نهايته[3]

ويرى احمد بابا التنبكتي في " كفاية المحتاج فيمن ليس لديه الديباج " ان ابن الخطيب رثى نفسه بقوله :

قف مغرب شمس الضحى****بين صلاة العصر و المغترب

وسترحم الله قتيلا بها **** كان إمام العصر بالمغرب

ويعلق على ما حدث فيقول "و كان قتله و الحكم و صمة في جبين قضاة المالكية بالمغرب ' حيث كانت فتوى بلا برهان .

[1] في علم الطب.
[2] نشر المستشرق الأحماني مولر.
[3] بن الخطيب، **كتاب الإحاطة في غرناطة**، ص441
بن الخطيب **,روضة التعريف** ,المصدر السابق ,ص29

الفصل الثاني :

الوباء بالغرب الإسلامي

(نظرة بيبليوغرافية)

الفصل الثاني:

الوباء بالغرب الإسلامي (نظرة بيبليوغرافية)

- **المبحث الأول: التأليف في الوباء**
- **المبحث الثاني: الوباء من خلال مقنعة السائل في المرض الهائل**
- **المبحث الثالث: مؤلفات في الأوبئة و الجوائح 300 هـ ـ 1300 هـ**
- **المبحث الرابع: مؤلفات مجهولة المؤلف و زمن التأليف**

المبحث الأول: التأليف عن الوباء

تعددت التآليف التي تضمنت الحديث عن الامراض والأوبئة ، منها ما كان دراسة علمية بحتة تكلم فيها عن المضامين العلمية والتي عادة ما تكون من اهل الإختصاص ، ومنها ماكان دراسة تاريخية ويكون عادة أقل منه من الناحية العلمية ، ومن المصادر ما وصلنا ، ومنها ما فقد، ومن خلال البحث البيبليوغرافي عن التأليف عن الوباء يمكن أن نعطي صورة عن الكتابة في هذا الفن من خلال بعض منها :

ـ رسالة "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لأن حاتمة الانصاري المريتي الاندلسي (ت 734 هـ / 1333 م) و قد عاصر المؤلف لسان الدين ابن الخطيب

ـ رسالة الطاعون لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ / 1505 م)

ـ ما رواه الواعون في أخبار الطاعون : لمحمد بن عتيق الحمصي (ت 1088 هـ)

ـ أوراق و فوائد في أحكام الطاعون: لمحمد بن الحسن القاس (1194 هـ) وغيرها كثير

ـ المقالة الحكيمة عن الأمراض الوبائية لابن هيدورالتادلي الفاسي المتوفي في مجاعة فاس سنة 816 هـ / 1413 م.

ويربط صاحب هذه المقالة بين الوباء والغلاء جميعا بقوله "إن سبب هذا المرض - بقي الطاعون - يكون فساد الهواء و تعفنه ويكون أيضا من فساد الأغذية و يكون منهما معا ....

ولعل الحديث النبوي الأشهر الذي ينحوا إليه عموم الفقهاء و الأطباء أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: إذ سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه و إذا وقع بأرض و انتم بها فلا تخرجوا فرارا منه.[1]

[1] شهاب الدين بن العسقلاني ، **فتح الباري**، شرح صحيح البخاري،تحقيق شعيب الأرنوط وعادل مرشد، ج10 ،ط.السلفية ، ص197.

المبحث الثاني: الوباء من خلال مقنعة السائل عن المرض الهائل

من خلال رسالة ابن الخطيب الموسوعة بمقنحة السائل عن المرض الهائل والذي يفصل في الطاعون الجارف الذي تكب الأندلس عموما سنة 749 هـ والذي أودي بحياة آلاف من الناس ، منهم العلماء على شاكلة ابن برطال والقطان المالقي، ويثبت المؤلف بنظرة الطبيب المتخصص والفقيه عن ثبوت وجود العدوى وهو في نفس الوقت يرد بقساوة على كل من ينكرها وهذا يقول: "فإن قيل كيف نسلم بالعدوى و قد ورد الشرع بنفي ذلك فلنا و قد ثبت وجود العدوى بالتجربة و الاستقرار والحس والمشاهدة والاخبار المتواترة ولا يخفي ان من يخالط المصاب بهذا المرض يهلك ويسلم من لا يخالطه[1] ."

يعرف ابن الخطيب هذا الوباء بأنه " مرض جاء يتصل بالروح بدءا بواسطة الهواء ، يسري في العروق فيحسد الدم .... ويتبعه الحمى ونفث الدم، ويجتهد في سبب المرض لجعله في سببين:

سبب أقصى: وهو صناعة النجوم ، وتشير هنا العامة كانوا يهرعون للتفسيرات الخرافية كفتاء العالم مثلا سنة كذا وتنطبق هذه التجريحات على المسلمين والمسيحيين وهو مايعكس مدى الهلع الذي يذكره الطاعون

سبب أدنى: ويرجع لفساد المواد الخاص[2] لما تنبه لأمر مهم وهو أصل المرض ومنبعه من العدوى ، حيث يقرر أن " أصل المرض من بلاد الخطأ وماولاها في حدود سنة 734 هـ ، وقالو بجيف كثيرة اجلت عنها بتلك الحجة ، فتحققت بعد أن تقدمها حريق .....[3]

1

بن الخطيب، **مقنعة السائل عن المرض الهائل**، تحقيق و تقديم حياة قارة، دار الأمان، الرباط ، ط1، 2015، ص61.

[2] بن الخطيب، **نفسه**، ص76.

[3] بن الخطيب ، **نفسه** ، ص 65

والمهم في هذه المعلومة أن الوباء قد يطول عمره لسنوات طويلة وقد لا يضعف أو الإنتقال من رقعة إلى اخرى.

ويسد المؤلف مسد العدوى وهي أخطر مافي الموضوع من خلال سد كل الذرائع التي من شأنها أن تنشر المرض حتى عند الحيوان و دليله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا يورد ممرض على مصح" ، أي لا يأتي من له إبل مريضة على ماء حتى لا يعدي إبل غيره .

ويرى أن الوباء يجتنب من خلال إجتناب المريض والميت أو ثوبه أو آلته، أو سكن محله، وهي كما ترى نفس التعليمات التي نسمعها اليوم من الأطباء المتخصصين في علوم الأوبئة والأمراض المعدية.

كما ينتقل لعلاج الوباء في حالة تمكنه من المريض بحيث تظهر أعراض خطيرة ، كتفت الدم و التهاب الرئة ويشير إلى نقطة هامة وهي المناعة التي لا بد أن الجسم يستخدمها [1]

وبهذا يكون ابن الخطيب من خلال هذه الرسالة المختصرة قد أفادنا بلغة المؤرخ والطبيب عن وباء ضرب الاندلس ووقف على أهم مظاهره مبينا أسبابه وكذا سبل الوقاية منه وكذا العلاج المتاح وهو فوق كل هذا ساهم في التأريخ للأوبئة ، والتي للأسف مازالت المكتبة الإسلامية تفتقر لمؤلفات متخصصة .

[1] بن الخطيب ، **نفسه**، ص 71.

المبحث الثالث: مؤلفات في الأوبئة و الجوائح 300 هـ - 1300 م

كانت هذه المؤلفات كلها دليل على إهتمام بالأوبئة بأبعادها الطبية والإجتماعية وحتى التاريخية وتعد أن هذه المؤلفات في العصر العباسي و كتبها العديد من العلماء و الأطباء أمثال ابن سينا والتميمي، من نحو 300 هـ إلى 1300 م

وشملت مداها الجغرافي العالم الاسلامي جميعا بمشرقه و مغربه

ـ محمد بن زكريا الرازي (ت 313 هـ) السبب في قتل ريح السموم أكثر الحيوان

ـ الرازي الرسالة الوبائية

ـ الرازي رسالة الجدري و الحصبة[1]

ـ ابن الجزار القيروان (ت 369 هـ) كتاب في نسق الأسباب المتولدة للوباء في مصر وطريق الميلية في ذلك وعلاج مايتخوف منه مفقود ومنه نقول عند التميمي وعلي بن رضوان

ـ التميمي المقدسي (ت 390 هـ) مادة البقاء في أصل فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوبئة ، كتبه عام 370 هـ

ـ الخطيب بن نباتة (ت 374)، خطة في ذكر الموت والوباء[2]

ـ محمد بن يوسف المزدغي الفاسي (ت 655 هـ) مقال إذا نزل الوباء بأرض قوم

ـ أحمد بن إبراهيم بن صفوان المالقي (ت 763 هـ) ، كتاب الطاعون

ـ أحمد بن أبي مجلة التلمساني (ت 776 هـ) الطب المسنون في دفع الطاعون توفي بفعل الطاعون الذي ألف حوله.

---

[1] محمد بن زكرياءالرازي،**كتاب في الجدري و الحصبة**، مكتبة و مطبعةالغد للنشر، جيزة، 1999م، ص1

[2] عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، **ديوان حطب ابن نباتة**، تحقيق ياسر محمد حتي المقداد، مجلة الوعي الإسلامي للنشر، الكويت 2012م.

ـ عب0د الله بن محمد السلماني الغرناطي (كان حيا في 769 هـ) ، شرح رسالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

ـ علي بن هيدورالنادلي(ت 816 هـ) المقالة الحكمية في الأمراض الوبائية : المؤلف رياضي مغربي معروف

ـ شمس الدين بن محمد الحسيني الطرابلسي (ت 954 هـ)، البشارى الهنية بأن الطاعون لا يدخل البلد الأمين.

ـ شمس الدين بن محمد الحسيني الطرابلسي (ت 945) ، رسالة في بيان الطاعون

ـ عبد القهار بن محمد بن عبد الرحمان التونسي (ت 899 هـ) ، الطب في تدبير المسافرين و مرض الطاعون

ـ جمال الدين يوسف بن حسن بن المبرد الصالحي (ت 909 هـ) كتاب الطواعين

ـ ابن المبرد الصالحي، فنون المنون في الوباء و الطاعون.

المبحث الرابع: مؤلفات مجهولة المؤلف و زمن التأليف

هناك مؤلفات عن الوباء ورسائل مجهولة المؤلف ولم يعرف سنة تأليفها أيضا ، ويبدوا من عناوينها أنها تنتمي معظمها إلى مرحلة متأخرة ، ربما إبتداءا من القرن التاسع للهجري سنكتفي بذكر رسائل التي لها نسخة مخطوطة ، وكما تشير إلى أن أغلب هذه المؤلفات درجت في فهارس المكتبات التي تمتلك نسخها المخطوطة.

1 ـ الماعون في الكلام على ما يتعلق بالوباء والطاعون

2. ـ أجوبة عن أسئلة فقهية في الطاعون

3 ـ بذل الماعون في الأخبار الواردة في الطاعون

4 ـ رسالة في رفع الوباء

5 ـ رسالة مختصرة مقيدة في أحوال الوباء المبيدة

6 ـ رسالة فيما ينفع من الوباء والطاعون

7 ـ رسالة في دفع الطاعون

8 ـ شرح داء الطاعون

9 ـ رسالة في حق الطاعون

10 ـ رسالة في مداولة الطاعون

11 ـ رسالة في الأمراض الوبائية

12 ـ أرجوزة توسيلية لرفع وباء الطاعون

ولعل عكوف بعض الباحثين على دراسة هذه المؤلفات قد يميط اللثام على كثير منها في القريب ان شاء الله .

الفصل الثالث :

الوباء في المغرب الإسلامي من خلال المقنعة

الفصل الثالث: الوباء في المغرب الإسلامي من خلال المقنعة

- **المبحث الأول: التعريف بالوباء لغة و إصطلاحا**
- **المبحث الثاني: أصل الوباء**
- **المبحث الثالث: مدافعة الجسم للمرض**
- **المبحث الرابع: إنتقال المرض و أعراضه و أسبابه**
- **المبحث الخامس: أشهر من أصيب بالوباء في المغرب الإسلامي**

المبحث الأول:

التعريف بالوباء لغة وإصطلاحا:

كان الوباء من أهم الأزمات التي عانى منها الإنسان فكان يعقبها في كثير من الأحيان يهدد حياه الكثير من الناس وقد تعددت التسميات والمصطلحات التي أطلقت على لفظ الوباء وكانت كلها تحب تصب في مفهوم واحد فما هو مفهوم الوباء؟

تعريف الوباء لغة:

يعرف الوباء في اللّغة بأنه« كل مرض عام » وجمعه الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توبّئا فهي موبوءة، إذا كثر مرضها وكذلك وبئت توبّئا وباءة فهي وبئة و وبيئة على فعله و فعيله،وأوبأت أيضا فهي موبوءة، و أستوبأت الأرض ، وجدتها وبيئة[1]

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف فيقال: احذر القرف في غنمك، وقيل القرف هو العدوى فأقرف الجرب الصّحاح (أعداها)

ويطلق على الوباء أيضا لفظ « الموتان » وذلك على المحارأصله في اللغة الموت يقع في الماشية[2].

تعريف الوباء في الاصطلاح الطبي:

تعددت التعاريف عند اهل الاختصاص واهمها عند معاصري الدراسة:

الوباء عند ابن الخطيب :

« لمّا كان الحكم على الشيء فرعا عن تصوّره » وجب أن نبيّن حقيقة هذا المرض فان ابن الخطيب استهل مقالته قاعدة فقهيه وهي تدل على سعه علمه وتعدّد اختصاصاته.

ثم يعرف لنا هذا المرض بأنه مرض حاد وانه« الآخذ بشدّة ولا يفتر » وهو مرض ينتقل عبر الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم.

وقد ذهب مجموعه من الأطباء إلى تعريفات أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص189 – 190.

[2] ابن حاتمة، **تحصيل غرض القاصد في تفضيل مرض الوافد**، ص162.

الوباء عند ابن خاتمة:

أنّه مرض عام للناس قتال غالبا عن سبب المشترك[1]

الوباء عند ابن زهر:

يذكر الناس قد اعتادوا على إطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلده من البلدان وتشمل أكثرهم،« خاصة أن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء نفسه الذي يستنشقونه » . ولهذا إذا كان الهواء فاسدا عمّ المرض أهل ذلك الموضع أو عمّ أكثرهم[2].

الوباء عند ابن خلدون:

لفّظ بالموتان والذي يعني الوباء ايضا[3].

ومعناه الاصطلاحي شمولية الموت من هذا المرض المفاجئ في الإنسان والماشية وقد اصطلح عن الأوبئة أيضا بالأمراض الوافدة لأنها قادمة على الناس من البعد مع الهواء أو لكونها أيضا أمراضا عامة تشمل وفدا كبيرا من الناس .

المبحث الثاني: أصل الوباء:

يقر ابن الحطيب أن أصل هذاالمرض قادم من أرض الصين أو كما أسماها أرض الخطأ في حدود سنة (734 هـ) و قد حدث بهذا أهل الرحلة و الجولان و استدل بالرحلة ابن بطوطة.[4]

وقد صادفه أثناء عودته إلى المغرب حيث ذكرت كل ما اشتهرت به الصين عند الوباء في العصور الوسطى من إتقان الصناعات والمهارات في الرسم إلى جانب رقابة الحكومة الشديدى على سفر الصينيين إلى الخارج ، فهم يقيدون كل إسم خارج من البلاد [5]حيث يقول : " وفي أوائل شهر ربيع الأول عام تسعة و أربعين و سبعمائة بلغنا الخبر في حلب أن الوباء وقع بغزة، وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الآلاف في يوم واحد ، فسافرت إلى حمص، فوجدت

---

[1] ابن الخطيب، **المصدرنفسه**، ص162.

2ابن زهر، **كتاب الأغذية**، تحقيق اكبيراتيونعارتيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1998، ص143.

[3] ابن خلدون، **المقدمة**، ص282.

[4]المقنعةن ص75ز

[5]حسن مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته**، تحقيق و دراسة وتحليل ، دار المعارف، القاهرة، 2003، ص203.

الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثة أيام، وخرجوا يوم الجمعة إلى مسجد الأقدام حسبما ذكرناه في السفر الأول، فخفف الله الوباء عنهم، فإنتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربع مائة في يوم ، ثم سافرت إلى عجلون، ثم إلى بيت المقدس و وجدت الوباء قد ارتفع عنه"

المبحث الثالث: مدافعة الجسم للمرض (المناعة) :

يتنبه ابن الخطيب لأمر مهم وهو مدافعة الجسم للمرض ذاتيا وبلغتنا المعاصرة يطلق عليه (المناعة) ، ويحدد أعضاءا بعينها تتكفل بهذا الأمر وهيّ المغابن من خلف الأذن وتحت الإبط وأصل الفخذ وكل بإنزاء عضوه من دماغ وقلب وكبد"[1]

ومعناه أن المرض ينحصر في هذه المواضع من خلال تجمع المواد السمية بها فتقوم المناعة بإنضاجها و تفجيرها أو تحليلها من قبل أن تجتمع فيكون بذلك الشفاء

أما إذا كانت مناعة الإنسان ضعيفة في مجابهة هذا الوباء فإن جسمه يقع فريسة له، وتظهر عليه أعراض العجز في المجابهة فمثلا تتورم الرئة وتفسد أعضاء الصدر ويظهر نفاث كبير للدم ويستنفذ الجسم وسعه ويستنفذ فتقهر الروح وتنطفئ ويكون بذلك الهلاك[2]

ويحدد كاتب المقالة عنصرا مهما للعدوى لأنه يرى فيه سببا مباشرا لإنتشار المرض ويربطه مباشرة بمفهوم الإستعداد الذي بحدده أنه تهيئ شيئ لقبول شيئ بمناسبته أو مشاكله حتى يلبس صورته [3]

ويرى هنا أن مناعة الإنسان تتحرك عندما يكون مرضا بعيدا عنه في المزاج فيقاومه مقاومة الضدية ويتسمى عليه القبول فتكون هنا المناعة حاضرة ، أما إذا كان قريبا منه في الميزاج الخاص فيه وإتحد به وسرى فيه فيفسد إفساد السموم ، وفي هذه الحالة تكون المناعة ضعيفة وغير قادرة ودليله في ذاك أن الكثير ممن باشروا المرض (أطباء و غيرهم) سلموا من مضرته مع ملامزتهم وقربهم وهلك آخرون ممن لم يباشروه أو باشروا مباشرة يسيرة وهذا دليل على أن المناعة تختلف من شخص لآخر .

---

[1] بن الخطيب ،**مقنعة السائل**، ص69.
[2] بن الخطيب ،**نفسه** ، ص 70.
[3] بن الخطيب ،**نفسه**، ص 70.

ويشير ابن الخطيب هنا إلى موقف الشرع من العدوى و يرد على أولئك الذين نفو العدوى جملة وتفصيلا ، مستدلين بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لا عدوى و لا طيرة "

ويشير كذلك إلى أن هناك من فسر هذا الحديث المتعلق بعدم وجود العدوى أن المقصود ليس نفي العدوى بالكلية و إنما ....

ومن مظاهر العدوى التي يبينها صاحب المقالة وانتقال هذا المرض نجد :

- التعامل المباشر مع المريض
- التعامل مع أدوات المريض كالثياب والأواني
- حلول المرض عن طريق رحلة رجل إلى منطقة ساحلية لم يكن بها المرض فصار حلوله بداية لظهور هذا المرض
- سلامة بعض المناطق المنقطعة عن الناس والتي لا تطالها الطرق ومثال ذلك سكان مدينة إشبيلية لم يصبهم الطاعون وهم ألوف ، ولو أصابهم لا ستأصلهم
- سلامة أهل الخيام (الرحالون من العرب بإفريقيا) لعدم إنحصار الهواء وقلة تمكن الفساد منه[1]

شرح حديث (لا عدوى و لا طيرة)

أشار صاحب المقنعة على حديث هام حول انتقال الأوبئة وبين اختلاف الناس في فهمه والمقصود بالحديث ما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول، ويعجبني الفأل" والمعنى إبطال ما يعتقده أهل الجاهلية من أن الأشياء تعدي بطبعها، فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن هذا الشيئ باطل وأن المتصرف في الكون هو الله وحده ، فقال بعض الحاضرين له : يا رسول الله الإبل تكون في الصحراء كأنها غزلان فيدخل فيها البعير الأجرب فيجبرها فقال صلى الله عليه وسلم:" فمن أعدى الأول [2]"

---

[1] بن الخطيب ،**المقنعة** ، ص74.

[2] اخرجه مسلم **في كتاب السلام** ، باب لاعدوىولاطيرة و لاماماة ولا صفرو لا نوء، برقم2222

والمعنى أن الذي أنزل الجرب في الأول هو الذي أنزله في الأخرى ، ثم بين لهم صلى الله عليه وسلم أن المخالطة تكون سببا لنقل المرض من الصحيح إلى المريض، بإذن الله عز وجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " لا يورد ممرض على مصح [1]"

والمعنى النهي في إيراد الإبل المريضة ونحوها بالجرب ونحوه مع الإبل الصحيحة، لأن هذه المخالطة قد تسبب إنتقال المرض مع المريضة إلى الصحيحة بإذن الله ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : "فر من المجذوم فرارك من الأسد" وذلك لأن المخالطة قد تسبب أنتقال المرض منه إلى غيره، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن إنتقال الجذام من المريض إلى الصحيح إنما يكون بإذن الله وليس هو شيئا لازما.

والخلاصة أن الأحاديث في هذا الباب تدل على أنه لا عدوى على ما يعتقده الجاهليون في كون الأمراض تعدي بطبعها، وإنما الأمر بيد الله سبحانه إن شاء إنتقل الداء من المريض إلى الصحيح وإن شاء سبحانه لم يقع ذلك.

ولكن المسلمين مأمورون بأخذ الأسباب النافعة وترك ما قد يغطي إلى الشكر فيقر بثبوت وجود العدوى بالتجربة والحسن والإستقراء والمشاهدة والأخبار المتواترة[2]

المبحث الرابع: إنتقال المرض و أعراضه و أسبابه.

يقر صاحب المقالة أن إنتقال المرض إلى بدن الإنسان يكون على طريقتين:

1 إما مرض به دون عدوى و هو الأقل

2 إما عن طريق العدوى و هي الطريقة الأكثر انتشارا ثم يفصل لنا في أعراض هذا الوباء و المتمثلة في نفس أعراض الحمى الوبائية و تتمثل في :

ـ نفث الدم " وهي الطريقة الأشد فتكا ولا تقبل البرء، ولمناسبة التنفس للتنفيس في باب الإستعداد ومناسبة الرئة المؤوفة للرئة القابلة المستعدة ..... إلى ما إختصت به الرئة من قبول العدوى في السل وغيره[1] "

---

[1] أخرجه البخاري **في كتاب الطب**، باب لاصفر، و هو داء بأخذ البطن، برقم 5717 و مسلم في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم 2220.

[2] بن الخطيب ، **المقنعة** ، ص 72.

ـ ظهور الخراج فيما خلف الأذنين والإبطين والأربيتين وغير ذلك

ـ أعراض عامة و أخرى خاصة:

العامة فيها الغشي برد الأطراف وفساد العقل و غيرها من أعراض الهلاك

أعراض خاصة تتبع البثور من ألوان الخضرة والطاؤوسية[2]

وبعد تفشي هذا الوباء في الجسم تظهر عليه سخونة وحمى كبيرة بعد تمكنه في الشرايين وغليان الدم وتفسد جميع الرطوبات التي كانت منبثة في العروق[3]

ويرى ابن الخطيب أن هذا الوباء كثير الانتقال بالخصوص في فئة النساء والصبيان ويفسر هذا الأر لوفرة الرطوبة التي هي متعلق الحرارة وبمنزلة الدهن [4]

أسباب حدوث الوباء :

هناك جملة من الأسباب منها طبيعية ومناضية ومنها يكون روحاني وهناك ما قد يكون ناتجا عن الحروب والفقر ويمكن لنا أن نلخصها فيما يلي:

1ـ فساد الهواء و الماء :

فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء يعد العامل الرئيسي والمسؤول عن حدوث الأوبئة نظر لأن الناس يشتركون جميعهم في إستنشاقه وعليه يعني هلاكهم بالجملة ، وتحول الهواء وإحالته إلى الفساد يكون سواءا في الكيف وفي الجوهر ، ففساد في الكيف يكون بفساد كيفياته دون فساد الجوهر فتزيد أو تنقص على مقدارها الطبيعي ، إما تغييره في الجوهر فيكون بفساد فصوله الجوهرية وتعفنه وخروجه عن حالته الطبيعية[5]

ويعود فساد الهواء بسبب جملة من العوامل تلخص كما يلي :

ـ بفعل الرطوبة والحرارة الزائدة وكثرة التعفن

ـ مخالطة الهواء لأبخرة حارة متعفنة

---

[1] بن الخطيب ،**المقنعة** ، ص79

[2] بن الخطيب ،**نفسه** ، ص69 .

[3] بن الخطيب ،**نفسه** ، ص68.

[4] بن الخطيب ، **نفسه** ، ص81.

[5] ابن الزهر، **كتاب الأغذية**، ص143.

ـ مخالطة الهواء لأبخرة متعفنة كتلك التي تخرج من مطامير الصحام التي يطول اختزانها ، أو من المواضيع التي يجمع فيها " الرشح من ضرر التعفن " أو الهواء المتصاعد من أقضية الآبار التي يموت فيها الحيوان

ينتقل الهواء أيضا ويفسد لأبخرة أجساد الموتى المتعفنة خصوصا إذا ماكان هذا الهواء راكدا وكانت جثث الموتى كثيرة، مثلما هو الحال في الحروب، حيث أن القدماء كانوا يجتنبون مجاورة المقابر في سكناهم خوفا من أقبرة الموتى المتصاعدة فيها

وقد يفسد الهواء أيضا بسبب كثرة العمران لما ينتج عنه من العفن والرطوبات ، وهو سبب الذي أقره ابن خلدون قائلا: " الوباء سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة ، ولعل فساد الهواء يؤثر حتما على الحيوانات فتمرض وتموت ، فتتأثر من جثتها المتعفنة النباتات والأشجار والثمار فتتعفن هذه الأبخرة ، فيزيد ذلك من فساد الهواء المحيط بها [1]

ولم يكن الهواء الفاسد الرئيسي فقط المتسبب في حدوث الأوبئة ، وإنما تتسبب المياه أيضا في حدوث العديد من الأمراض الأوبئة والحميات الدقيقة والأورام الطاعونية والجرب، وكذلك الحصى في الكلي والمثانة ، خاصة منها الرائدة والمتغيرة [2]

والمدن التي تتسم بمبادينها الفاسدة في المغرب الأوسط نادرة الوجود، فلم تسجل لنا المصادر الجغرافية سوى مدينتين هما تنس ومرسى الخرز فمدينة تنس مياهها غير صالحة للشرب رديئة ، التي يصنعها أحد الشعراء في بين مقتطف من ارجوزة تضمن طول فساد هوائها وسياهما ذكرها البكري:

وماءها من فج ما خصت به تحس يجري على قرب نجس[3]

---

[1] ابن خاتمة، **التحصيل غرض القاصد في مرض الوافد**،ج1،ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر،بيروت،1988، ص169، ص171

[2] ابن زهر، **التسيير في المداواة والتدبير**، تحقيق مشال الخوري ،منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دار الفكر، دمشق ،198 ، ص 454،456

1البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**، جزء من كتاب المسالك والممالك ،مكتبة المثنى ،بغداد ،1968، ص63.

وكذلك مرسى الخرز فماءها فاسد أيضا لأن مصدر الشرب أهلها كان من بئر وبيئة تعرف يتئر ازراق ويقال عن فساد مياهها مثلا شعبيا يتداوله أهلها فيقولون:

"طحتة لمرارق خير من شربة من بئر ازراق"

وقد ذكر ابن مرزوق أن شرب الناس في الحج للمياه الراكدة كان سبب حدوث العديد من الأمراض الخطيرة التي أكثرها في البطن، وهي تؤدي إلى مرض عدد كبير من الحجاج بسبب ذلك.

2_اضطرابات المناخ و تغير فصول السنة :

لا تقتصر الانعكاسات السلبية لتغير المناخ على حدوث القحوط والفيضانات فقط ، وإنما تسببت أيضا في حدوث أوبئة فتاكة هددت حياة الإنسان في العصور الوسطى ، وتتسبب أيضا إضطرابات فصل السنة وتبدلها في ظهور الأمراض الوبائية ، كأن يكون فصل الربيع باردا يابسا والخريف يكون على طبيعة الربيع ،والشتاء على طبيعة الصيف ،كما أن التذبذب في تساقط الأمطار يؤدي أيضا إلى حدوث أمراض وأوبئة .

ولعل هبوب الرياح الشمالية وسقوط الأمطار الغزيرة في فصل الصيف يفسد الهواء ويعفنه فيحدث بذلك أمراضا خصوصا الحمى الوبائية . وعموما تكثر الأمراض في أواخر فصل الصيف والخريف أكثر من باقي فصول السنة " كثرة اجتماع الفضالات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف ،وعدم تحللها في آخره ،وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضالات التي كانت تتحلل فيل فصل الصيف ، فتتعفن وتحدث الأمراض العفنة .

كما أن مناخ صيف البحر الأبيض المتوسط كان يمتاز بكثرة وقوع الأوبئة والأمراض. وكون مدن ساحل المغرب الأوسط خاضع لهذا المناخ فإن أهلها يكونون أكثر عرضة للأمراض والأوبئة من باقي المدن الأخرى البعيدة عن الساحل .

المبحث الخامس: أشهر من أصيب بالوباء في المغرب الإسلامي.

علماء أندلسيون أقبروا شهداء في الطاعون الوبائي أو المرض الوافد سنه 749هـ-1348م.

1_ابو جعفر احمد بن محمد بن علي بن احمد الأموي المعروف بابن بُرطال قال أبو الحسن البنّاهي :« فتوفي بها أي مالقة أيام الطاعون الكبير، وذلك في منتصف ليله الجمعة خامس صفر من عام 750هـ، خرجت جنازته في اليوم لليلة وفاته، صحبه ركب من الأموات يزيد على الألف، منهم شيخنا المقرئ الوليّ أبو القاسم بن يحيى بن درهم، والأستاذ الو اعض أبو عبد الله احمد المعروف بالقطان رحمه الله عليهم. »

وقال ابن الخطيب:« توفي رحمه الله وعفا عنه أيام الطاعون القريب بمالقة في منتصف ليلة الجمعة خامس سفر عام 750هـ وخرجت جنازته في اليوم التالي ليلة وفاته في ركب من الأموات يناهز الألف وينيف ب 200 واستمر ذلك مدة. »

2_محمد بن احمد بنمحمد بن عياض من أهل بلش حفيد الإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى قال ابن الخطيب:« توفي معتبطا به في الطاعون عام خمسين وسبعمائة فلم... الاعتباط به » .

3_ابو بكر محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عبيد الله بن منظور القيسي المالكي وأصله من اشبيلية، قال ابو الحسن البناهي:« و تفي في بلده مالقة، وقبر بها شهيدا بالطاعون، وذلك منتصف شهر صفر من علم 750 هـ.[1]

4_أبو بكر عبد الرحمان بن عبد الملك الينشي: أصله من مدينة بانمة فابن الخطيب : " تعرفي في الطاعون عام خمسين و سبعمائة بغرناطة "

[1] ابن الخطيب، **أوصاف الناس**،تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة ،تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشرالتراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة ،ص128

5_محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري، من أهل الجزيرة الخضراء قال ابن الخطيب " توفي في الطاعون بسبب آخر جمادى الآخرة من عام خمسين و سبعمائة"

6_أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي من أصل بلش و يعرف بابن المراجع [1]، قال ابن الخطيب: " وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بلش في أواخر عام خمسين وسبعمائة ودفن بها"

7_أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم المعروف بالقطان، من أهل مالقة[2]، قال ابن الخطيب :"توفي شهيد الطاعون غصر يوم الأربعاء الرابع صفر من عام خمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة جبل فاره، صحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلى عليه خارج باب قنتالة والمدة في قبره الخطيب القافي الصالح، أبو عبد الله الطنجالي، رحم الله جميعهم"

ومن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوراد في قصيدة طويلة منها:

قضى تحبه الأستاذ واحد فكاد الأسى يقفي إلى الكل منهم

ففي نحبه القطان فالحزن قاطن مقبم بأعناء الصلوع محكم

8_أبو عبد الله بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن عامر ابن نصريفي حقاف السلمي، من أهل غرناطة، ويعرف بابن جعفر، منسوب إلى قريبه بالإقليم [3]، قال ابن الخطيب : وفاته" بقرية قنجة ، يوم الإثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة في الوباء العام ودفن بقرية قفجة رحمة الله عليه ورضوانه "

9_أبو القاسم محمد بن محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن بن محمد بن فرتون الأنصاري، ويعرف بالهنا[4] ، قال ابن الخطيب : " ومات ميتة حسنة صلى الجمعة ظهرا ، وقد لزم الفراش ونفت دم الطاعون ومات مستقبل القبلة على أتم وجوه التأهب ، سابل شوال من عام خمسين وسبعمائة

---

[1] **نفس المصدر**، ص421،

[2] **نفس المصدر**، ص241،242.

[3] بن الخطيب ، **الإحاطة** ،ج 3، ص 234، 236.

[4] بن الخطيب ، **نفسه** ، 226 227.

10_قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الخضرمي، من أهل سبتة[1]، قال ابن الخطيب : " توفي أيام الطاعون العام ببلده "

11_أبو القاسم قاسم بن محمد بن سليمان بن الجد الفهري، من أمل الحرية، ويعرف بالورشدي[2]قال ابن خاتمة: " توفي رحمة الله تعالى عليه في الحرية بالطاعون الجارف بها في اليوم الخامس والعشرين لذي القعدة عام749 هـ "

12_أبو القاسم قاسم بن يحي بن محمد الزروالياالمالقي، ويعرف بابن درهم، قال ابن الخطيب : " توفي ببلدة مالقة خامس صفر من عام خمسين وسبعمائة في وقيعة الطاعون ، توفي وآخر كلامه رزقنا الله عملا صالحا يقربنا إليه وجعلنا ممن يمر على عقبى الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى"

13_أبو الحسن علي بن يحي الجزاري، من أهل مالقة ويعرف بإبن البربري، قال ابن الخطيب: " وفاته بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة "

14_أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن التينا ، من أهل وادي آش ، قال إبن الخطيب: " توفي في الرابع لشعبان من عام خمسين وسبعمائة ، لم يبلغ الثلاثين "

15_أبو محمد عبد المهين بن محمد بن عبد المهين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الخصرمي، قال ابن الخطيب: " توفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعمائة في واقعة الطاعون العام، بعد أن أصابته نبوة من مخدومه السلطان ابن الحسن (المريني) ثم استعتبه و تلطف به، وكانت جنازته مشهورة ،ودفن بالزهج من جياناتخارخنونس

قال ابن خلدون : ثم جاء الطاعون الجارف، فطوى البساط بما فيه وملك عبد المهيمن فيمن هلك، ودفن بمقبرة سلفنا بتونس، لخلة كانت بينه وبن والدي رحمه الله أيام قدومهم علينا

16_محمد بن أحمد بن عبد الله العطار، من أهل الحرية[3]، قال ابن الخطيب: " توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة "

---

[1] بن الخطيب ،**الإحاطة** ،ج 4 ، 267 268.

[2] ابن القافي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق الدكتور محمد الاحمدي ابو النور، الجزء الثالث، مطبعة الستة المحمدية ، القاهرة، الطبعة 1، 1971 م، ص 275، 276

[3] ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج 3 ، ص 186، 187

17_أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد التسكوتي، أصله من جهة قمارش ، ويعرف بإبن اللؤلؤة [1]، قال ابن الخطيب: " توفي معتبطا في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعمائة خطيبا يخص قمار شى "

18_أبو عبد الله محمد بن محمد بن محارب الصريحي، من أهل مالقة و يعرف بابن الجيش[2]، قال ابن الخطيب : " توفي بمالقة في كائفة الطاعون الأعظم في أخريات الربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة "

19_أبو القاسم محمد بن علي بن محمد بن محمد بن حاتمة الأنصاري من أهل المرية، قال ابن خاتمة " توفي في آخر أيام الطاعون العام بالمرية في الخامس شهر ربيع الأول سنة 750 هـ "

[1] **نفسه**، ص180، 181
[2] **نفسه**، ص78 79

الخاتمة

الخاتمة

من دراستنا لموضوع الوباء بالغرب الإسلامي من خلال مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل للسان الدين بن الخطيب يمكن الخروج بمجموعة من النتائج المهمة التي نوجزها فيما يلي

_عرفت حركة التأليف عن الوباء و المرض بالغرب الاسلامي حركة واضحة ولعل ذلك يعود الى انتشار الأوبئة بمختلف أقطار الغرب الاسلامي

_معظم المؤلفات التي تناولت عن الأوبئة لازالت بحاجة إلى الدراسة والتحقيق ويعود إحجام الباحثين عن هذا النوع من الدراسات الى عدم تخصصهم و تمكنهم من علم الأوبئة والأمراض على عكس الكتاب الذين كانت لهم دراية بهذا العلم .

_تعتبر مقالة مقنعة السائل من الرسائل المهمة جدا في علم الأوبئة حيث أعطتنا صورة وصفية رائعة ، نظرا لتمكن لسان الدين بن الخطيب من عدة علوم ومعارف من ضمنها الطب الوقائي .

_نظرا لأهمية مقالة مقنعة السائل فقد عكف كثير من معاصري بن الخطيب على شرحها على غرار عبد الله بن محمد السلماني الغرناطي (كان حيا 769 هـ) ، والتي لم نعثر عليها للأسف (ربما فقدت) ، مما يوحي أن هذه الرسالة لها أهمية بالغة في مجال فنها .

_ إستطاع صاحب المقنعة أن يعطينا صورة واضحة عن الوباء الذي ضرب المرية سنة 750 ه، موضحا أعراضه وأسبابه وإنتقاله وأشهر من أصيب به مشيرا إلى طرق الوقايى منه .

_نظرا لبراعة بن الخطيب في مختلف العلوم وكذا تمكنه من علم الأوبئة فقد جاءت مقالته بلغة الطبيب المتمكن وليس المؤرخ وحسب . ويظهر ذلك من خلال اسخدامه مصطلحات طبية معروفة عند أهل الإختصاص .

- استطاع لسان الدين ابن الخطيب من خلال هذه الرسالة المهمة أن يساهم بشكل كبير في الـتأريخ لعلم الأوبئة في الغرب الاسلامي عموما ، وهذا ما يزيد في اهمية هذا المؤلف النفيس .

وتبقى مقالة مقنعة السائل من أهم الرسائل المهمة التي خلفتها المصادر التراثية التاريخية والتي مازالت بحاجة الى الدراسة و التمحيص .

الملاحـــق

ملحق 01

جدول يمثل أشهر علماء المغرب الإسلامي الذين قبروا بالطاعون

الإسم واللقب	سنة الوباء الذي هلك فيه	المصادر والمراجع
ابو عيسى موسى بن الإمام التلمساني	طاعون 749هـ / 1348 م بتلمسان	ابن مزروق المسند،ص265 ابن خلدون التعريف بابن خلدون ص48 الونشريسي، الوفيات 655/2
ابو عيسى موسى بن الإمام التلمساني	طاعون 749هـ / 1348 م بافريقية	ابن مرزوق، المناصب المرزوقية ص192 . ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص59 ابن القافي،درة المجال، 265
ابو عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي	طاعون 749 هـ / 1384 م بتونس	ابن مرزوق المسند، ص267 ابن خلدون، تبخ، ص58 ابن القافي, درة المجال،ص2002
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جعفر عبد الحق بن محمد بن جعفر بن عامر إبن نصر بن حقاف السلمي	توفي بالوباء يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان عام 750 هجري دفن في قرية قنجة	بن الخطيب ، الاحاطة ،م3،ص226-227
أبو القاسم بن محمد المعروف بالورشدي	توفي في المرية بالطاعون يوم الخامس و العشرون لذي القعدة	بن الخطيب ،الاحاطة م4 ،ص267-268

	عام 749 هجري	
أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الانصاري يعرف بالشداد	توفي في آخر الطاعون بالمرية في أوائل رجب سنة 750 هجري وهو آخر من مات بالمرية بالطاعون	ابن القاضي ،درة الحجال ،ج2، ص102-103
أبو بكر محمد مجمد بن عبيد الله بن يوسف بن يحيى بن عبيد الله بن منظور القيسي المالقي	توفي في مالقة بالطاعون في منتصف شهر صفر من عام 750 هجري	بن الخطيب ، أوصاف الناس ، ص128 بن الخطيب ، الاحاطة ، ج2 ،ص170-173

فهرس المصطلحـــــات الطبية

الاحرف	المصطلحات	الصفحة
ا	الأمراض الوبائية التهاب الرئة الأربيتين	22 24 36
ب	البثور	36
ت	تورم الرئة	33
ج	الجدري الجذام	25 35
ح	الحمى الحصبة الحمى المحرقة الحمى الوبائية	23 25 35 38
خ	الخراج الخضرة	36 36
ر	الرشح	37
س	السموم	33
ط	الطاؤوسية الطاعون	36 42_41_40_39_34_27_26_25_23_22

ع	العدوى العروق	35_34_33_31_23 36
غ	الغشي المغابن غليان الدم	36 33 36
م	المرض الوافد المناعة مرض حاد المواد السمية	22 33_24 31 33
ن	نفث الدم	35_24_23

ملحق 02 :

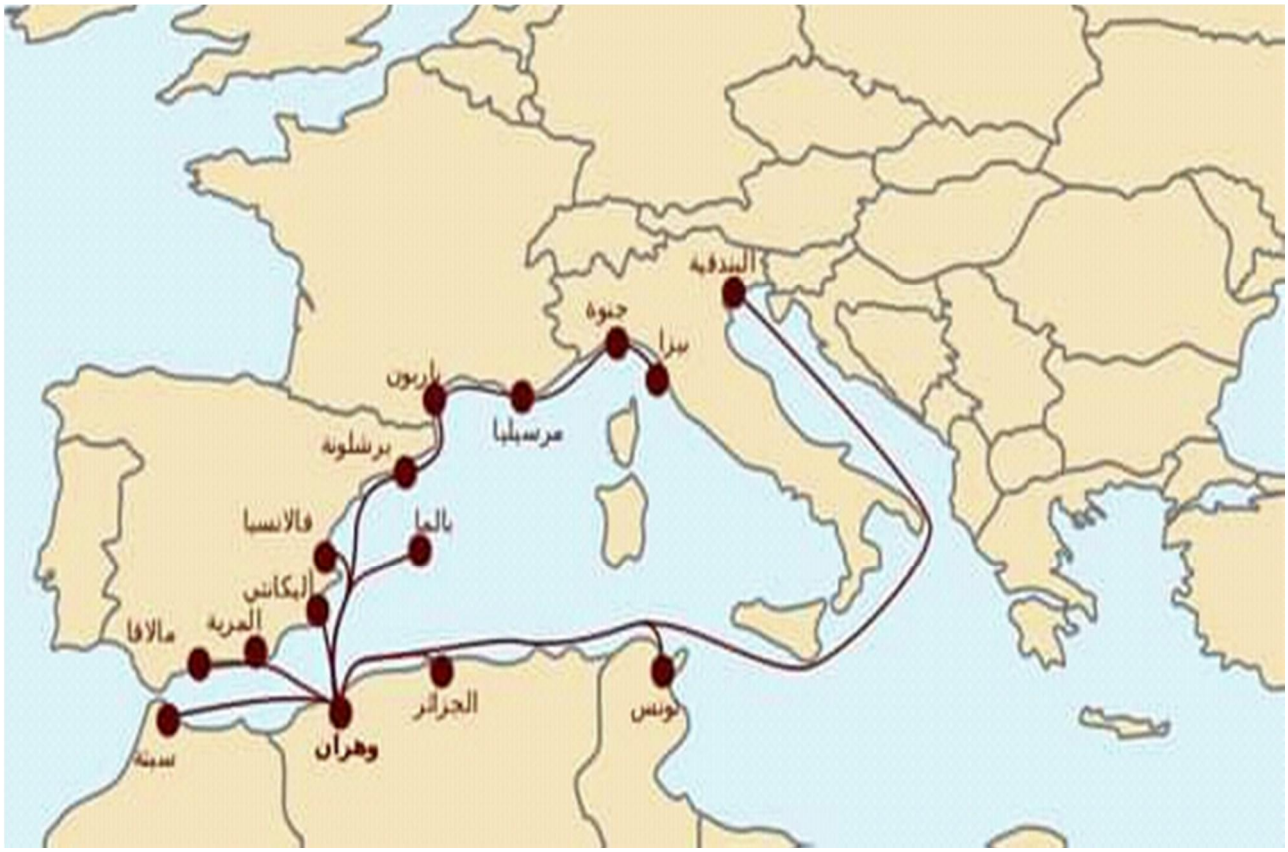

خريطة توضح أين تقع المرية و ما يحدها من كل الاتجاهات

من إعداد الطالبتين

ملحق رقم03 : نماذج خطية لمخطوط مقنعة السائل :

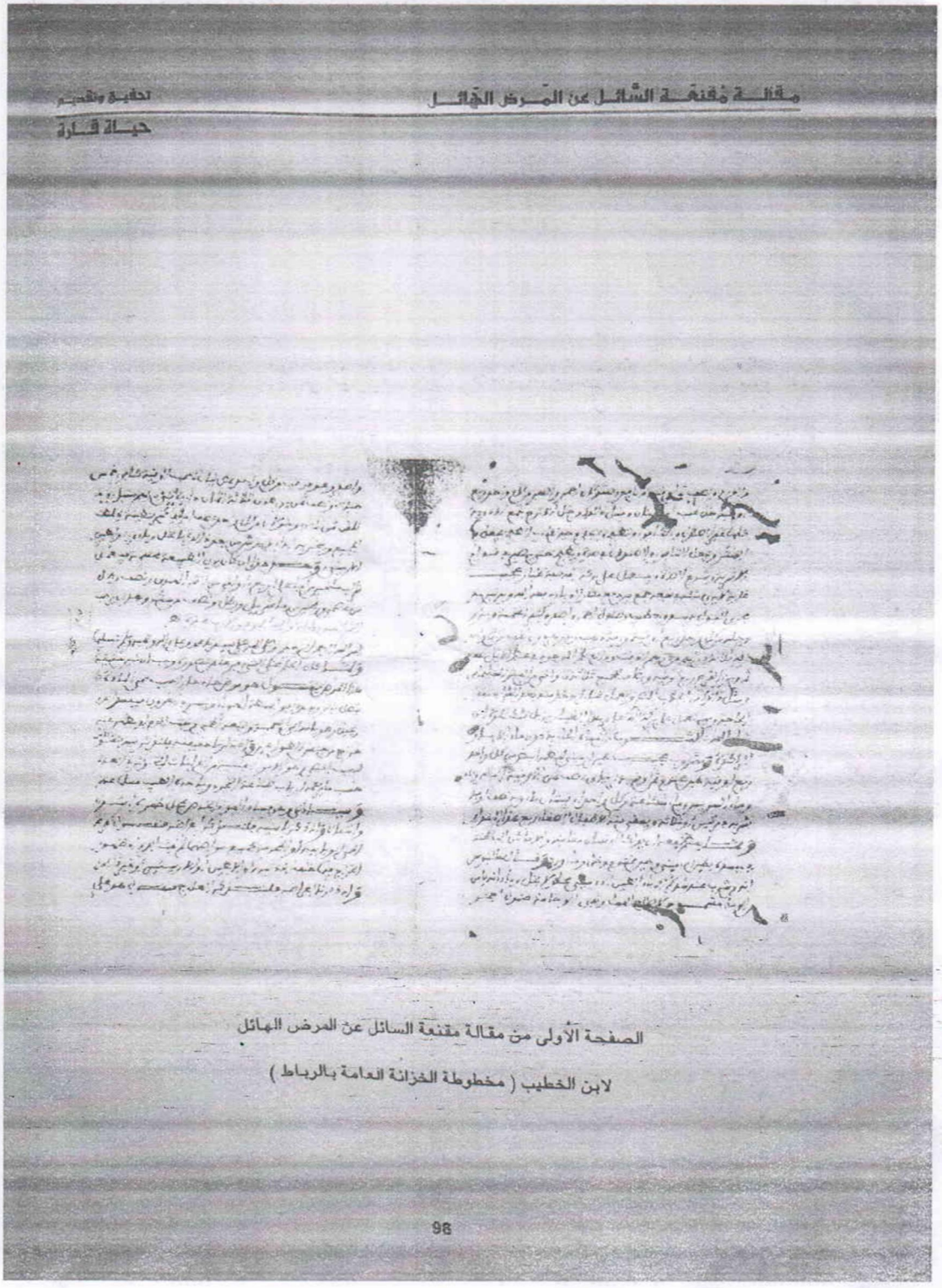

الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)

Scanned with CamScanner

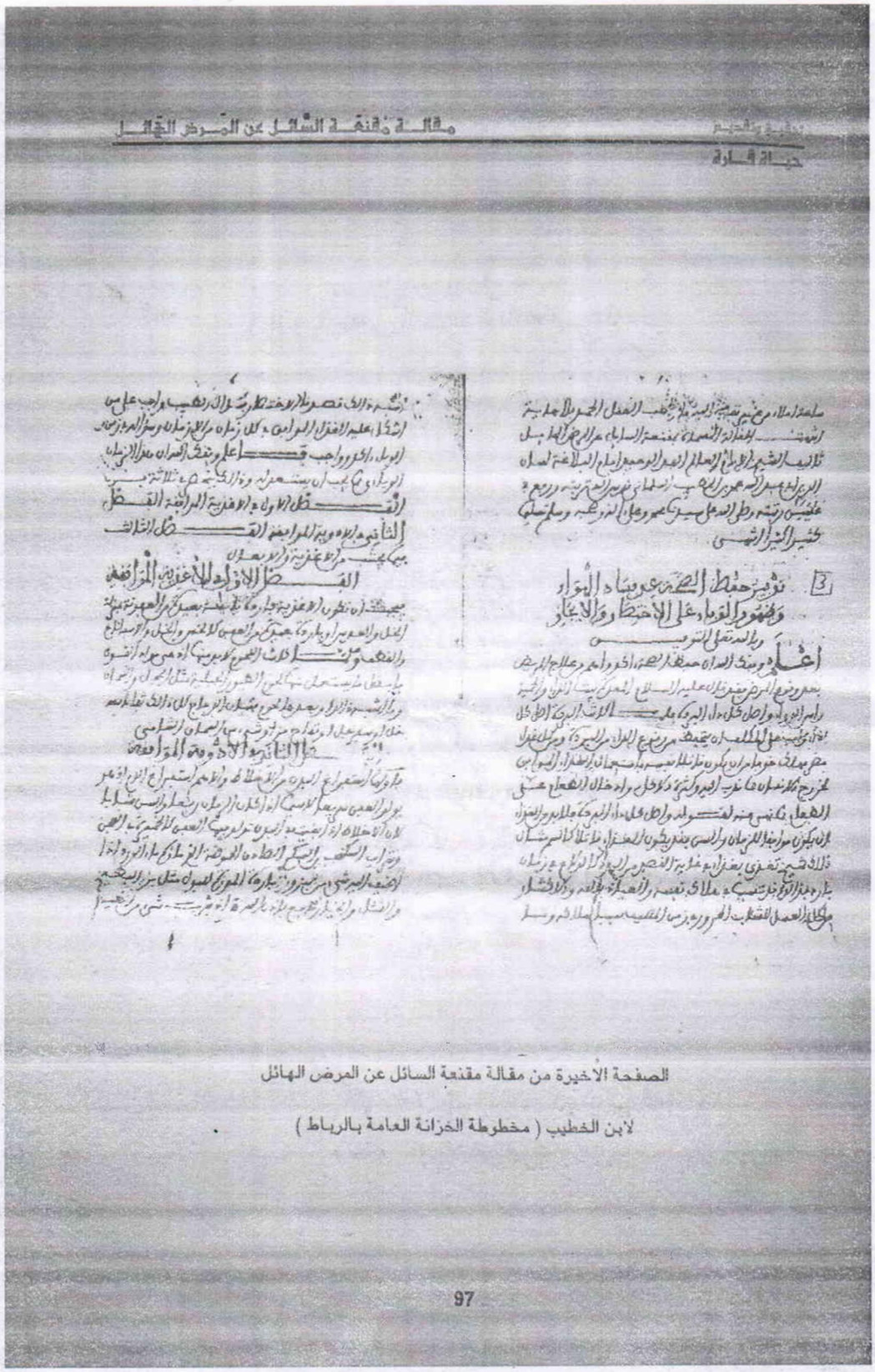

الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط)

Scanned with CamScanner

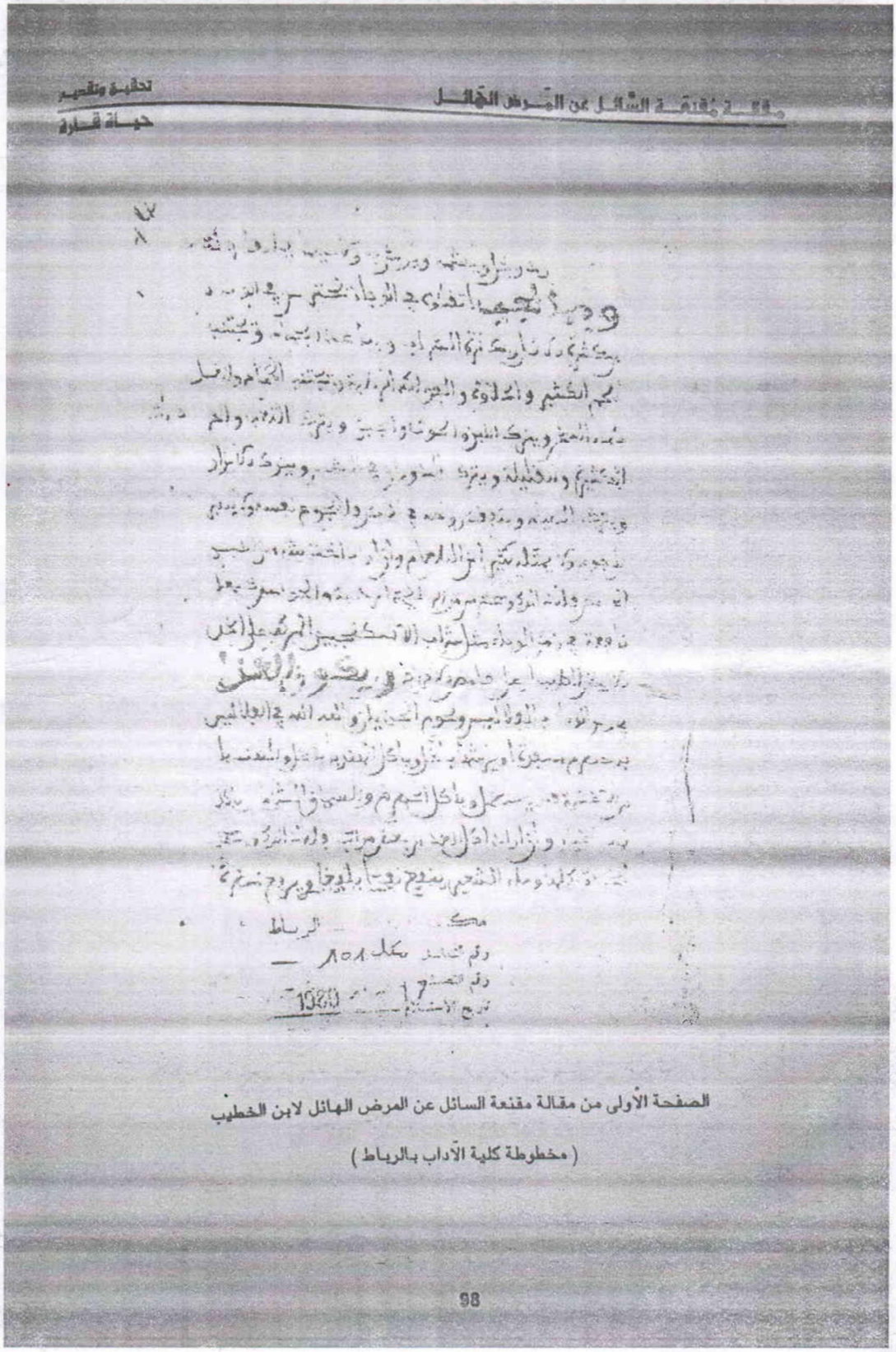

الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب

(مخطوطة كلية الآداب بالرباط)

Scanned with CamScanner

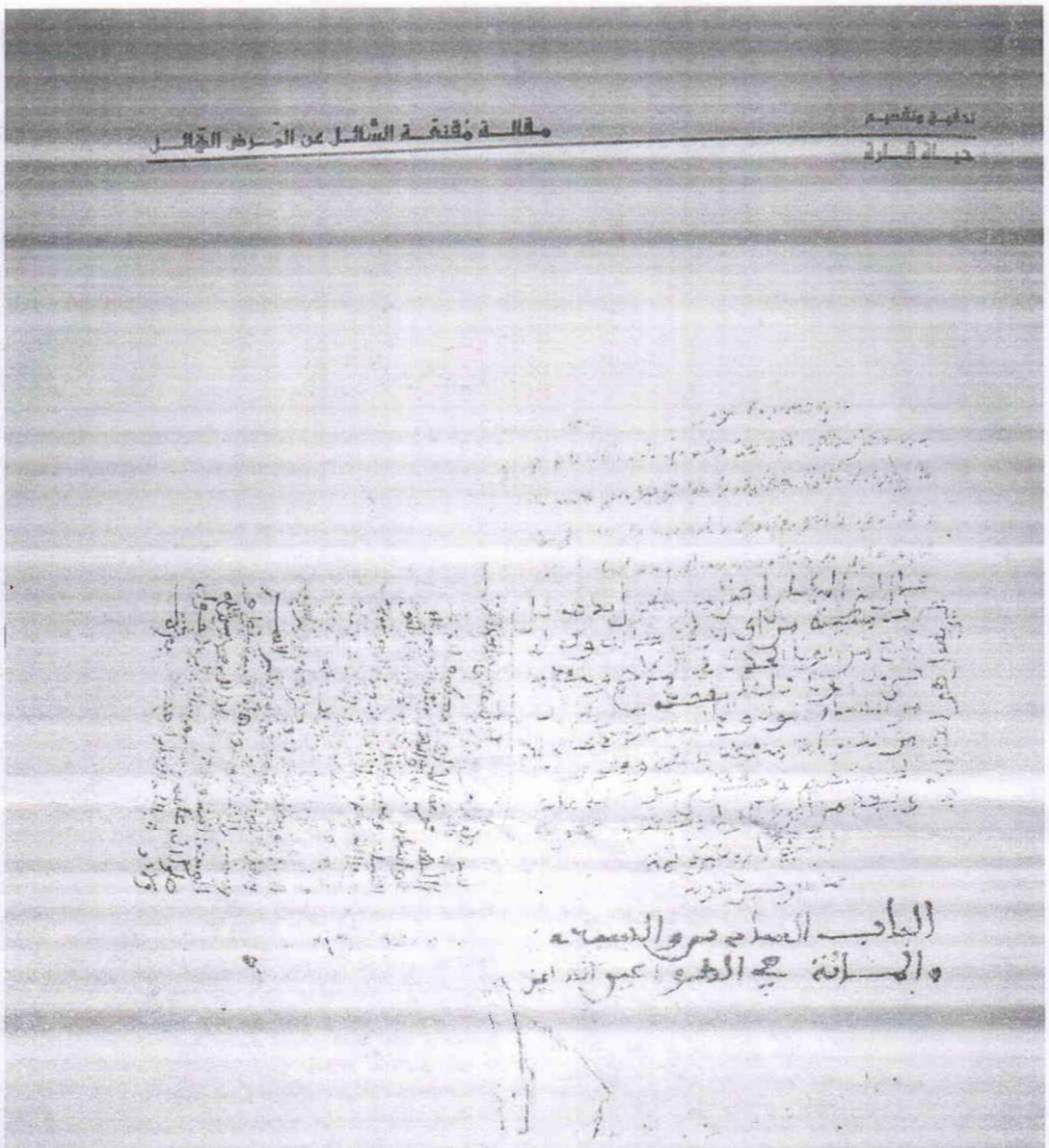

الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب

(مخطوطة كلية الآداب بالرباط)

Scanned with CamScanner

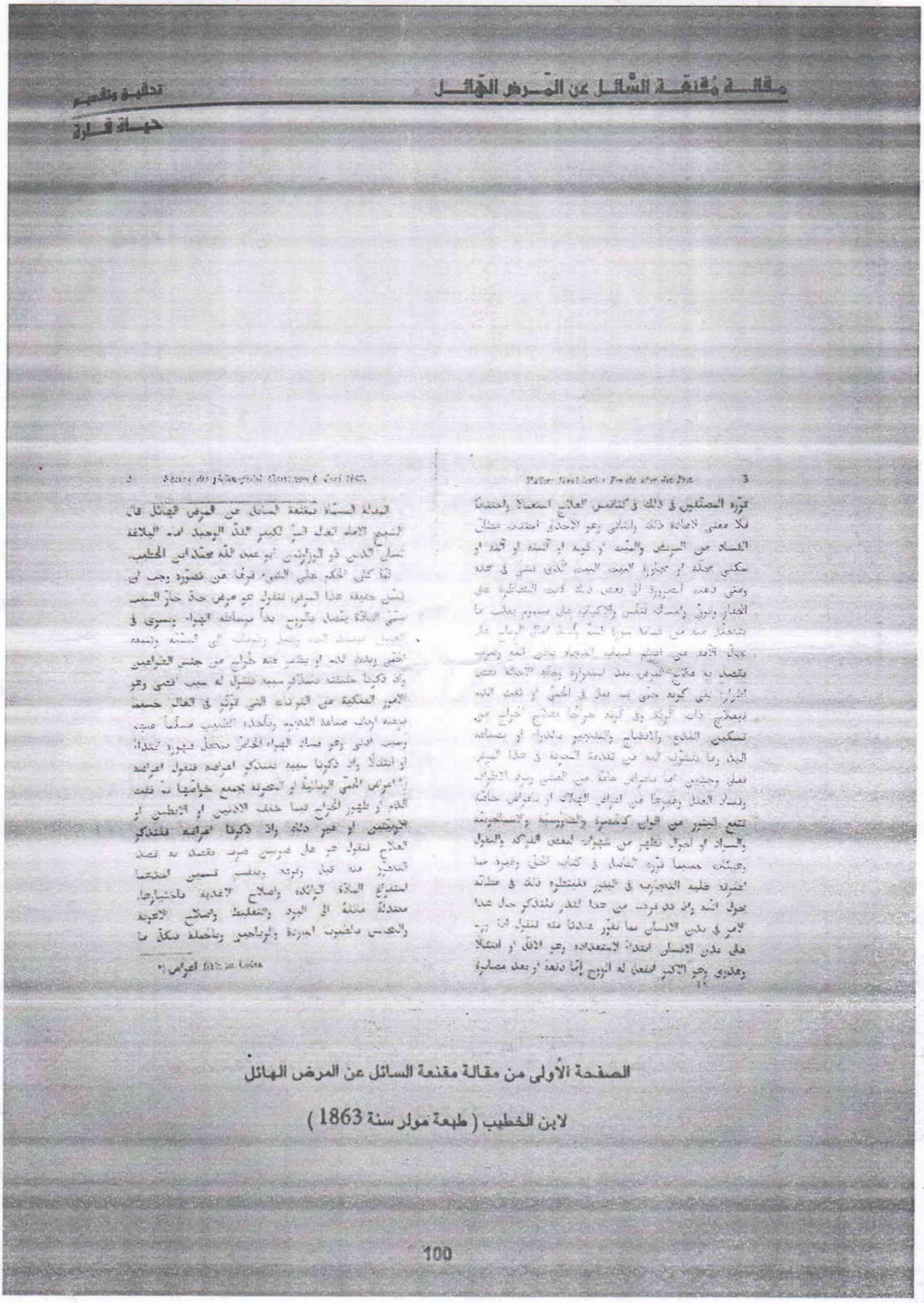

الصفحة الأولى من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (طبعة مولر سنة 1863)

Scanned with CamScanner

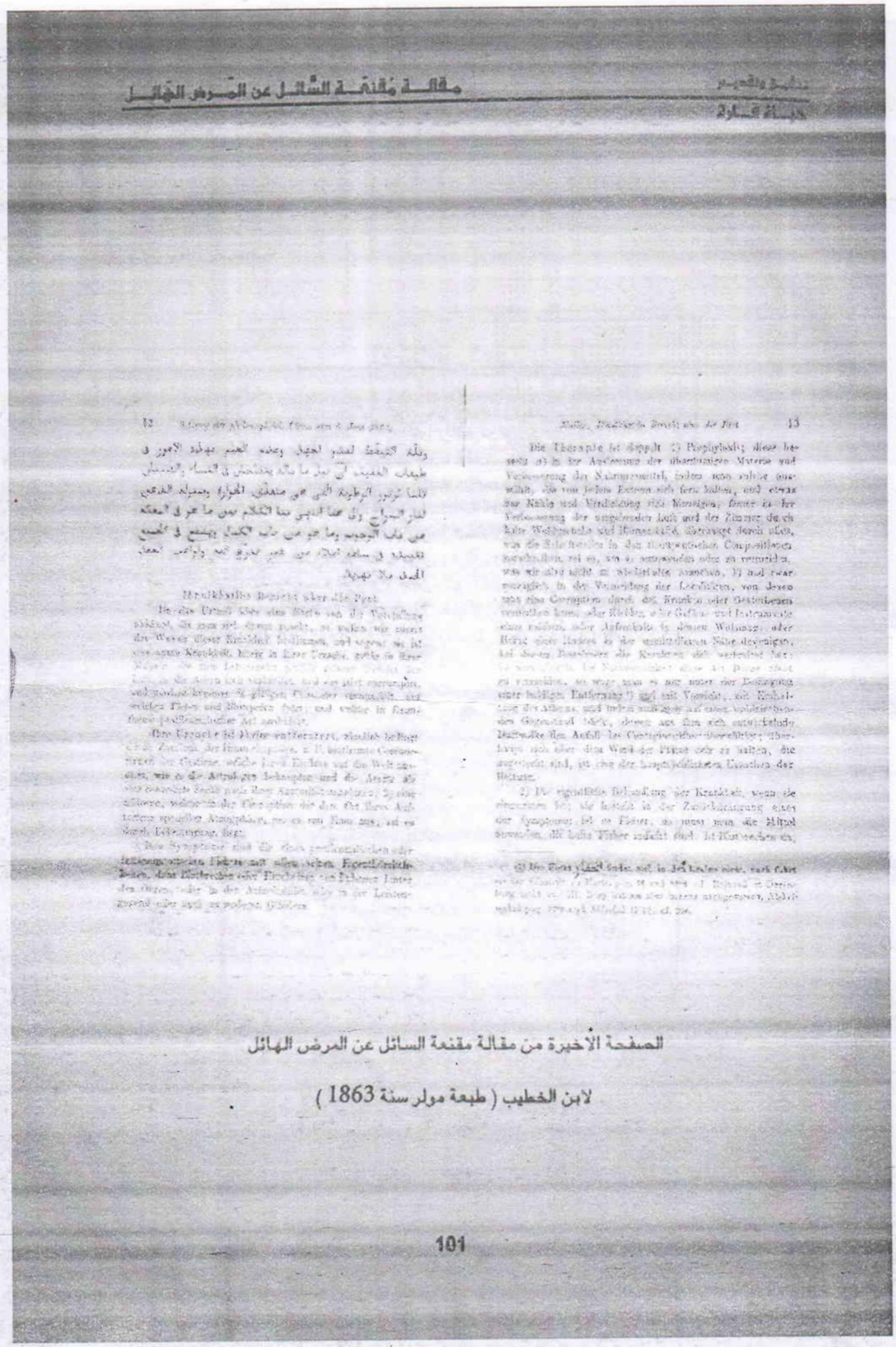
مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

الصفحة الأخيرة من مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل

لابن الخطيب (طبعة مولر سنة 1863)

101

Scanned with CamScanner

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع :

المصادر :

1ـ البكري عبيد الله ، **في ذكر بلاد افريقية والمغرب**،مكتبة المثنى ، بغداد ، (د-ت) (ت1094م)المغرب

2_ابن الخاتمة ،**تحصيل الغرض القاصد في تحصيل المرض الوافد** ،ج1،ط1،دار العرب الاسلامي للنشر ،بيروت ، 1988 (ت 770هـ-1369م)

3_ ابن خلدون عبد الرحمن ،**المقدمة**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ج1، ط1، دار يعرب للنشر، دمشق ،2004 . (ت 808 هـ)

4ـ ابن زهر، **كتاب الأغذية**، تحقيق: اكبيراتيونغارتيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1992 . (ت 557هـ -1162م)

5_ابن الزهر،**التسيير في المداواة و التدبير** ،تحقيق مشال الخوري ، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،دار الفكر ، دمشق ،1983 م

6 ـ ابن القاضي، **درة المجال في أسماء الرجال**، تحقيق الدكتور محمد الامدي أبو النور، الجزء الثالث، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة 1، 1971 م . م (ت 1025هـ -1616م)

7ـ لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطةفي أخبارغرناطة** ، المجلد 1، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 1973 .(ت 776هـ -1374م)

8ـ لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في إختيار غرناطة**، مجلد 2، دار الأصل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر

9ـ لسان الدين بن الخطيب، **الاحاطة في اخبار غرناطة** ، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد 3، الخانجي للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 1977 .

10ـ لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، المجلد 4،الخاتحي للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، القاهرة، 1977 م .

11ـ لسان الدين بن الخطيب،**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**،صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة، 1347

12 ـ لسان الدين بن الخطيب، **روضة التعريف**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الفطر العربي للنشر والتوزيع .

13 ـ لسان الدين ابن الخطيب، **اوصاف الناس في التواريخ والصلات**، تحقيق الدكتور محمد كمال شياتة

14 ـ لسان الدين بن الخطيب، **مقنعة السائل عن المرض الهائل**، تحقيق وتقديم حياة قارة، دار الامان، ط1، 2015

15 ـ لسان الدين ابن الخطيب، **في روضة طه**، دار الاداب للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2012 .

16ـابن منظور، **لسان عرب**، تحقيق نحية عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف للنشر، القاهرة (ت 711هـ-1311م)

17ـ محمد بن زكرياء الرازي، **كتاب في الجدري والحصبة**، مكتبة ومطبعة الغد للنشر،الطبعة الأولى، جيزة، 1999 م .(ت 313هـ-925م)

18ـ المقري التلمساني، **نفخ الطيب**، تحقيق الدكتور احسان عباس، المجلد الخامس ،دار صادر للنشر،بيروت، 1968 (ت 1041هـ -1631م)

19ـ ابن نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق د.محمد محمد تامر، دار الحديث للنشر، القاهرة، 2009 (ت 393هـ -1003م)

المراجع :

1_شهاب الدين بن العسقلاني ، **فتح الباري** ،شرح صحيح البخاري ،تحقيق شعيب الارنوط وعادل مرشد ،ج10،ط السلفية

2_ حسن مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته**، تحقيق و دراسة وتحليل ، دار المعارف، القاهرة، 2003

3_عبد الرحيم بن محمد بن نباتة ' **دوان حطب بن نباتة** ،تحقيق ياسر محمد حي المقداد ،مجلة الوعي الاسلامي للنشر ، الكويت ، 2012م

المقالات :

متن المؤلفات العربية في الاوبئة : قائمة اولية مع تعاليق مختصرة ، محمد ابطوي ،المركز العربي للابحاث والدراسات السياسية ، معجم الدوحة التاريخي للغة العربية

الفهرس

المحتويـــات	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: بن الخطيب مؤرخا	18-13
المبحث الأول: التعريف بالمؤلف ابن الخطيب	14-13
المبحث الثاني: الشيوخ الذين درسوا ابن الخطيب	15-14
المبحث الثالث: مؤلفاته و وفاته	18-15
الفصل الثاني: الوباء بالغرب الإسلامي(نظرة بيبليوغرافية)	27-21
المبحث الأول: التأليف عن الوباء	21
المبحث الثاني: الوباء ضمن مؤلف مقنعة السائل عن المرض الهائل	23-22
المبحث الثالث: مؤلفات في الأوبئة و الجوائح 300 هـ ـ 1300 هـ	25-24
المبحث الرابع: مؤلفات مجهولة المؤلف و زمن التأليف	27-26
الفصل الثالث: الوباء في المغرب الإسلامي من خلال المقنعة	43-30
المبحث الأول: التعريف بالوباء لغة و إصطلاحا	31-30
المبحث الثاني: أصل الوباء	32-31
المبحث الثالث: مدافعة الجسم للمرض	33-32
المبحث الرابع: إنتقال المرض و أعراضه و أسبابه	39-33
المبحث الخامس: أشهر من أصيب بالوباء في المغرب الإسلامي	43-40
الخاتمة	43
الملاحق	45
المصادر و المراجع	58
الفهرس	61